سورة المطففين بين دقة النظم وروعة التصوير
دراسة تحليلية

دكتور/ خالد محمد حماش
أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد ــ قسم اللغة العربية
كلية الآداب ــ جامعة الملك فيصل

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل القرآن نوراً وهداية و بياناً ،وبلاغاً وشفاءً وبشارة للمؤمنين ، ووعيداً وإرغاماً للكافرين ،والصلاة على رسوله الأمين ، الذي بلّغ الرسالة ، وحفِظ الأمانة ، ووضّح القرآن بسيرته العَطِرة ، وعلى آله وصحبه ،الذين حملوا من بعده الراية ، فكانوا ستاراً لقدر الله تعالى في حفظ كتابه ، ودوام لغته إلى يوم الدين .

أما بعد فلمّا كان القرآن معجزة الرسول محمد صلى الله عليه و سلم ، الباقية على وجه الدهر، كان لابد أن يبقى البرهان فيه ساطعاً والحجة به واضحةً لكل من أراد العلم به ، وطلب الوصول إليه ، فذلك أدعى إلى قوة الإيمان من الاكتفاء بعلمنا بعجز العرب عن أن يأتوا بمثله ، وتركهم معارضتَه مع تكرار التحدي عليهم ، فَثَمّةَ فَرْقٌ كبيرٌ بين التقليد في معرفة الإعجاز ، وبين العلم به وإدراك أسراره والوقوف على دقة نظمه وروعة تصويره ، والاستمتاع بجماله وبلاغته ، وسمو الروح ورقي النفس بأساليبه وغاياته[1].

ومع كل ما وُضِع من دراسات في بيان القرآن وأسرار إعجازه ، ومع كل ما بذله المفسرون والبلاغيون واللغويون في هذا المجال ، فمازالت الحاجة قائمةً للمزيد من هذه الدراسات ، لاسيّما التي تُطبِّق نظريات الإعجاز في القرآن ، مثل نظرية النظم للجرجاني ، والتصوير الفني لسيد قطب ، وغيرها ....

---

[1] ينظر دلائل الإعجاز ، عبد القاهرالجرجاني ، ص :٦٢-٦٣ ، تحقيق د محمد رضوان الداية ، د فائز الداية ، مكتبة سعد الدين دمشق ط٢ ١٤٠٧

وإنّ مجموعَ ما وَقف عليه العلماءُ من أسرار الإعجاز لا يُمثل إلا جزءاً يسيراً من القرآن ، ولا يخفى على دارسِ أنّ الإعجاز جاء في القرآن كُلِّه ، فلابد من مضاعفة الجهد للمزيد من الدراسات البيانية في النص القرآني ، ولعلنا نُوفّقُ كما وُفِّق غيرنا في الوقوف على أسرارٍ جديدةٍ في بلاغة هذا القرآن ، وما أحوجَنا في هذا السبيل إلى صِدق النية وتمامِ الآلة ، وحسن الرَوِيّة ، والهدايةُ من الله تعالى أولاً وآخراً .

وهذا البحث محاولة لتحليل سورةٍ كاملةٍ – وهي سورة المطففين – نستطلع ما جاء فيها من جمال عند عدد من المفسرين مع ما يفتحه الله تعالى على الباحث من بعض الآراء ؛ للوقوف على بعض أسرار نظم هذه السورة ، من دقة اختيار ألفاظها ، إلى حسن انتقاء تراكيبها وأساليبها ، بما يتناسب مع معانيها ، وصولاً إلى قوة التصوير ؛ بما يوضح أسباب تأثيرها وبلوغها أعلى درجات الإمتاع والإقناع .

وقد اقتضت طبيعة السورة أن تنبني خطة البحث على ثلاثة مباحث ، ويسبقها مدخل يتناول أسباب نزول السورة موضوع البحث ، ويتناول المبحث الأول مطلع السورة وما احتواه من تحذير شديد من التطفيف ، وما قد يفضي إليه من الكفر ، وتضمن المبحث الثاني صورة تقابلية لأحوال الكفار والمؤمنين يوم القيامة ، وتناول المبجث الثالث صورة تقابلية تقارن بين موقف الكفار من المؤمنين في الدنيا ، وما آل إليه حالهم في الآخرة ، ثم ختم البحث بتحليل إجمالي أظهر النتائج التي توصل إليه البحث ، مع عرض للقضايا البلاغية التي وردت البحث .

مدخل :

بعد بَيعة العَقَبَةِ الثانية تَهَيَّأَ المسلمون الجُدُد في المدينة المنورة لاستقبال المهاجرين ونصرتهم ، ولتقوم أول نواة لدولة الإسلام بقيادة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لتكون نموذجاً ومثالاً يُحتذى عبر العصور ، ولَمَّا كانت هناك بعضُ العاداتِ الجاهليةِ في مجتمع المدينة ، كان لابد من معالجتها ، وإذا كانت سُنّةُ التدرُّجِ مُجدِيَةً في تحريم بعض العادات الجاهلية كالخمر والرقِّ مثلاً ، فإن بعضها لايَصلُحُ معه التدرج ، ولايستقيم وجودها مع المجتمع الإسلامي الحقيقي يوماً واحداً ، كالتطفيف في الميزان ، فهي كالسَرَطَانِ في الجسد تُشكِّلُ خطورةً بالغةً على أهم أعضائه ، وعائقاً أمام أهم وظائفه ،فلابُدَّ من حسمها واستئصالها ، ليكون المجتمع مهيأً لما ينتظره من مهام جِسامٍ في حمل أعباء الدعوة وتبليغ الرسالة ؛ من أجل ذلك نزلت سورة المطففين ، بكل

طاقاتها البلاغية لاستئصال شأفة هذه العادة الذميمة من مجتمع المدينة الذي سيسوده الحب والوئام ، وسيشهد أجمل صور الإخاء والإيثار والتضحية والجهاد ، ويالله العجب ! فسرعان ماستجاب المسلمون ، وأقلعوا عن هذه العادة ، ماخلا المنافقين .

روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : " لَمَّا قَدِمَ النبيُّ المدينةَ كانوا من أخبث الناس كَيْلاً ، فأنزل الله تعالى : (ويلٌ للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك " قال الفَرَّاءُ : " فهم من أوفى الناس كيلاً إلى يومهم هذا "[1].قال مقاتل :" هي أول سورة نزلت بالمدينة "[2].

فما سر تأثير هذا القرآن العظيم ؟ وهو بناء لغوي من حروف لغة العرب وألفاظها وتراكيبها وأساليبها ، وأيُّ نظمٍ هذا الذي جعل العقول الواعية تقنع ، والقلوب المصغية تخشع ، والأرواح الشفافة تسطع ؟!

سيحاول البحث من خلال تحليل هذه السورة الوقوف على بعض أسرار نظمها بما تضمنته من دقة اختيار الألفاظ وانتقاء التراكيب والأساليب البلاغية ، وصولاً إلى قوة التصوير في معانيها ، بما يتناسب مع غاياته النبيلة في الوصول إلى أعلى درجات التأثير في المتلقي الواعي الرشيد ؛ لإقناعه وإمتاعه ، وإسعاده بسلوك درب الراشدين.

اشتملت هذه السورة على التحذير من التطفيف في الكيل والوزن وتفظيعه ، وأن ذلك مما سيحاسبون عليه يوم القيامة ، وتهويل ذلك اليوم ووعيد الذين يكذبون به وبالقرآن ، وقابل ذلك بحال الأبرار وما أعدَّ لهم من الإكرام ، ثم انتقل إلى وصف حال الفريقَين في الدنيا الزائلة ، إذْ كان المشركون يسخرون من المؤمنين، وكيف انقلبت الحال في الآخرة الباقية الخالدة.

---

[1] أخرجه ابن ماجة في كتاب التجارات في باب التوفي في الكيل والوزن برقم ٢٢٢٣ ٤٨/٣ ، بشرح أبي الحسن الحنفي ، دار المعرفة بيروت ط٢ ، ١٤١٨ ، وينظر المعتمد في المنقول فيما أوحي إلى الرسول ،لبهاء الدين الفاشي ٤٣٥/٢ مكنبة التوبة ، الرياض ط ١ ، ١٤٢٠

[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ٢٥٠/١٩، دار الفكر للطباعة ، ط١ ، ١٩٨٧ م

التحليل التفصيلي للسورة

المبحث الأول : براعة الاستهلال في مطلع السورة بالتحذير الشديد من التطفيف

بدأت السورة بالهجوم على موضوعها بدون مقدمات بجملة اسمية دُعائية تقريرية (ويلٌ للمطففين) فكلمة ويل دعاء بالهلاك ووعيد بالعقاب ، خير ما يُبدأ بـه الكـلام ليلفـت الأنظار، ويخلع القلوب ، وهذا من براعة الاستهلال ، وذلك لخطورة الأمر واسـتعجال اقتلاع هذه العادة الذميمة ، واختار كلمة الويل دون كلمة العذاب أو جهنم ، لأنها أكثـر اتساقا مع كلمة المطففين ، رغم توالي لامات ثلاث ؛ لما في حرف اللام مـن الزلاقـة والخفة ، واختار حالة الرفع دون النصب .

(ويل) : مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاءً ، ولو نُصب لجاز، قال مكي بن أبي طالب: والمختار في ويلٍ وشبهه إذا كان غير مضاف الرفع ، فإن كان مضافاً أو معرفا كان الاختيار النصب نحو : (ويلَكم لاتفتروا على الله)"[1]

فاختيار القرآن كان موافقاً للغرض البلاغي من الآيـة، لأن النـصب يخرجهـا مـن الاسمية إلى الفعلية ، والاسمية أثبت وأقوى .

وقد افتُتحت سورتان بلفظة "ويل" هذه و(الهُمَزَة) ، وكلتاهما في التحـذير مـن النيل من حقوق الناس ، الأولى في أكل المال ، والثانية في الانتقاص بالاستهزاء .

(للمُطَفِّفين): المطفف مأخوذ من الطفيف وهو القليل، والمُطفّف المُقِـلُّ حـقَّ صـاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن ، وقال الزجاج : "إنما قيل للفاعل من هذا مطفـف ، لأنه لا يكاد يسرق من المكيال والميزان إلا الشيء الطفيف الخفيف، وإنما أُخـذ مـن طفّ الشيء ، وهو جانبه وفي الحديث: " كلكم بنو آدم طفَّ الصاع لم تملؤوه" وهـو أن يَقْرُب أن يمتلئ فلا يفعل ، والمعنى : بعضكم من بعض قريب فليس لأحد علـى أحـد فضل إلا بالتقوى ..والتطفيف : نقص المكيال وهـو ألّـا تمـلأه إلـى أصـباره أي: جوانبه"[2]،

---

[1] مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي ، ٤٦٢/٢تحقيق ياسين محمد السواس ، مجمع اللغـة العربية دمشق، ١٩٧٤م ، وينظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد بـن يوسـف المعـروف بالسمين الحلبي ، ١٠/ ٧١٥ تحقيق د أحمد محمد الخراط ، دار القلم ط٢ ١٤٠٧ هـ

[2] القرطبي ، ١٩/ ٢٥١

"وفعله طَفَفَ ، كأنّهم راعَوا في صيغة التفعيل معنى التَكلّف والمحاولة ، لأن المطفف يحاول أن ينقص الكيل دون أن يشعر به المكتال ، ويقابله التوفية "[٣] أو الدهاق ، وفوقه التطفيح .

(الذّينَ إِذا اكْتالوا على النّاسِ يَسْتَوْفونَ وإِذا كالوهُمْ أَوْ وَزَنوهُمْ يُخسِرون)ولَمّا كانت كلمة المطففين يكتنفها الغموض، أو لأن القرآن أسبغ عليها دلالة جديدة جاءت الآية مبتدئة بالاسم الموصول لتعرف حقيقة المطففين ، ولتكشف عن عادة ذميمة ، وهي الحرص على اقتطاع جزء لاحقٍّ لهم فيه ، وهذا من الإيضاح بعد الإبهام ، وهو من الأغراض البلاغية لتأكيد المعنى في النفس ، ولزيادة الكشف عن سوء هذه العادة عرضها على طريقة المقابلة ، فهم في الطرف الأول من المقابلة إذا اشتروا من الناس سلعة واكتالوها استوفوا حقم كاملا ، وحذف المفعول لأنه لا تعلق لغرض الكلام بذكره ، ولإفادة العموم ، وحق (اكتال) أن يتعدى إلى مفعول واحد وهو المكيل ، ويعدى إلى مازاد على المفعول بحرف الجر مثل : (من) وإنما عُدّي في الآية بحرف (على) بتضمين اكتالوا معنى التحامل والظلم ، وهو فن معلوم من فنون العربية ، وممن ذكروه ابن هشام الأنصاري في كتاب مغني اللبيب ،ص ٧٩٨.

ويجوز أن تتعلق (على الناس) بـ (يستوفون) وقَدّم المفعول على الفعل لإفادة الخصوصية ، أي : يستوفون على الناس خاصة ، فأمّا أنفسهم فيستوفون لها،[١] وقيل : إن (على) و(من) تتعاقبان[٢]، والأول أبلغ ، أمّا في الطرف الثاني من المقابلة (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أي باعوهم فكالوا لهم أو وزنوا لهم ، وقد قاسوها على باعوهم فقالوا : كالوهم أو وزنوهم ، قال الفراء[٣]: هو من كلام أهل الحجاز ومن جاوَرَهُمْ مِن قيس ، يقولون : يكيلنا ... ومنه قول الشاعر:

ولقد جنيتُك أكمؤاً وعساقلاً... والأصل: جنيت لك [٤].

---

[٣] التحرير والتنوير :محمد الطاهر بن عاشور ،٣٠/ ١٨٩ دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .

[١] الكشاف للزمخشري ، ٤/٢٣٠ دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ م

[٢] معاني القرآن للفراء ، ٣/٢٤٦ ، وينظر الدر المصون ١٠/ ٧١٦

[٣] نفس المصدر ، وينظر التحرير ١٩١/٣٠

[٤] روح المعاني ، محمود شكري الآلوسي البغدادي ٦٩/٣٠ ،إحياء التراث العربي بيروت ١٩٨٥

والأصل في هذه الأفعال التعدي لاثنين ، لأحدهما بنفسه بلا خلاف ، وللآخر بحرف الجر، ويجوز حذفه [٥]، ولعل السر في عدول القرآن إلى هذه اللغة هو خِفّتُها ورشاقتها وسلاستها ، قياساً بقول : وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم .

فهم إذا ابتاعوا من الناس يستوفون الكيل ، وإذا باعوهم يخسرون ، ومن تمام المقابلة أن يقال : إذا اكتالوا أو اتَّزَنوا ، ولكنّه حذف اتزنوا اكتفاءً بذكر الوزن في الثاني تجنباً لفعل (اتزنوا) لقلّة دورانها في الكلام، فكان فيه شيء من الثقل ، وعدم الاتساق الموسيقي مما يتجنبه القرآن.

وقد يكون لنكتة أخرى ، وهي أن المطففين هم أهل التّجْر، وهم يأخذون السلع من الجالِبين في الغالب بالكيل ، لأن السلعة في الغالب تمْرٌ وحنطةٌ وأقطٌ... مما يكال، ويدفعون لهم الأثمان عيناً بما يوزن من ذهبٍ وفضةٍ أو كيلاً ؛ فلذلك اقتصر في ابتياعهم من الجالبين على الاكتيال نظراً للغالب ، وذكر في بيعهم للمبتاعين الكيل والوزن ، وهذا من مطابقة الكلام لواقع الحال[١] ومن ائتلاف اللفظ مع المعنى.

والتطفيف كما يقول ابن عاشور[٢]: يجمع ظلماً واختلاساً ولؤماً ، والعرب كانوا يتعيَّرون بكل واحد من هذه الخلال متفرقة ، ثم يأتونها مجتمعة .

وفي الآية إدماجٌ مَسوقَةٌ لكشف عادةٍ ذميمةٍ فيهم ، وهي الحرص على توفير مقدارٍ ممّا يبتاعونه بدون حق لهم فيه ، والمقصود الجملة المعطوفة عليها وهي : (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) فهم مذمومون بمجموع الجملتين[٣].

والإدماج فنٌّ بلاغيٌّ بديعيٌّ يُصَرَّح فيه بمعنى غيرِ مقصودٍ قد أُدمج فيه المعنى المقصود [٤].

وهذا مُخَطّطٌ يوضح طَرَفَيْ المقابلة ، وما نقص في الطرف الأول ، وقد بينت دلالته البلاغية .

---

[٥] الكشاف ٢٣٠/٤ ، والمقتضب ٤٨/٤ ، والخصائص ٣/ ٥٨ ، والإنصاف ٣٧٩

[١] الكشاف ٢٣١/٤ ، والتحرير ١٩٢/٣٠

[٢] التحرير ١٩٢/٣٠

[٣] نفس المصدر

[٤] تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، : ابن أبي الإصبع المصري ص ٤١٥ ، تحقيق حفني محمد شرف ، القاهرة ١٤١٦ هـ

إذا اكتالوا على الناس	←——→	وإذا كالوهم
....	←——→	أو وزنوهم
يستوفون	←——→	يخسرون

و(يُخسرون) جواب إذا ، وهو مُعدّى بالهمزة ، يُقال: خسر الرجل وأخسرته أنا ، فمفعوله محذوف لأنه معروف ، كما تتحقق مراعاة الفاصلة ، وكذا في يستوفون التي تقابلها ، وبذلك جمع بين بلاغة المعنى وجمال الإيقاع والاعتدال في رعاية الفاصلة.

(أَلَا يظُنُّ أولئك أَنَّهم مَبعوثون)

بالاستفهام التعجبي تستنكر هذه الآية على المطففين ، واسم الإشارة يشي ببعدهم عن الصواب واضعةً إيّاهم في قائمة مَنْ لا يعلمون أنهم مبعوثون ومحاسَبون ، لأن هذا العمل لا يقدم عليه من يعلم أنه مبعوث ومحاسَب ، وعلى هذا الرأي تكون الهمزة للاستفهام و(لا) نافية ، والظن يحتمل الشك واليقين .

وقد يكون للتحضيض ، فيكون الظن بمعنى اليقين[١]، وهذا يُرَجِّح أنَّ الخطاب (ويل للمطففين) مُوجَّهٌ إلى المسلمين ، وإلّا فما معنى أن تخاطب من لا يؤمن بالبعث بهذا الأسلوب ؟! لأن هذا الأسلوب نوع من الاستنهاض والتحفيز لدى المسلم ليقلع عما لا يليق بإيمانه ، لذلك أقلع المسلمون عن التطفيف بخلاف المنافقين[٢] .

وفي العدول عن الإضمار إلى اسم الإشارة ، لقصد تمييزهم وإشهار أمرهم في معرض الذمِّ ، ولأن الإشارة إليهم بعد وصفهم للمطففين تؤذن بأن الوصف ملحوظ في الإشارة ، فيؤذن ذلك بتعليل الإنكار[٣].

(لِيَوْمٍ عَظِيمٍ)

اللام لام التوقيت ، وهي إدماج في الرد على من ينكر البعث، وتنكير(يوم) لجعله مبهماً تقوم الجمل التالية بتوضيحه دون الكشف عن وقته، لأنّ ما ينبغي أن يشغل المخاطبين وصفه وما يقع فيه ؛ لذلك وصفه بأنه عظيم باعتبار مايقع فيه من الأهوال، فهو وصف مجازي عقلي[٤].

---

(١) الدر المصون ٧١٨/١٠

(٢) التحرير ١٩٢/٣٠

(٣) التحرير ١٩٣/٣٠

(٤) التحرير ن م

ثم جاء بجملة البدل[1] (يّوْمَ يَقومُ الناسُ لِرَبّ العالمينَ) لتبين أن عظمته جاءت من قيام الناس فيه لرب العالمين ، وكلمة القيام تدل على شدة المهابة وعظمة القائمين لأجله ، والتعبير بالمضارع (يقوم) لاستحضار المشهد ، واللام في (لرب العالمين) تحتمل الغاية وتحتمل التعليل ، أي : لأجل ربوبيته وتلقي حكمه ، أو إجلالاً له وامتثالاً لحسابه .

والتعبير عن الله تعالى بـ (لرب العالمين) لاستحضار عظمته وانفراده في ملكه ، واللام في (العالمين) للاستغراق .

وكل هذه الاستخدامات اللغوية – كما يظهر – مطابقة تماما للمعنى المراد ، جاء في الكشاف :[2]" وفي هذا الإنكار والتعجيب ، وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظيم ، وقيام الناس فيه لِله خاضعين ، ووصفه ذاته برب العالمين ، بيان بليغ لِعَظِمِ الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف ...

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قرأ هذه السورة ، فلما بلغ قوله تعالى: (يوم يقوم الناس لرب العالمين) بكى نحيباً ، وامتنع من قراءة مابعده" ، أي : منعه البكاء من مواصلة القراءة .

وعن الإمام مالك عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند هذه الآية (يوم يقوم الناس لرب العالمين): حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه " رواه البخاري[3].

المبحث الثاني : صورة تقابلية بين حال الكفار وحال المؤمنين يوم القيامة

(كلّا) : أداة نفي يستخدمها القرآن كثيراً ، تتضمن زجراً وردعاً[4] وهي تبطل ظنونهم بأنهم غير مبعوثين ، وتثبت البعث والحساب والجزاء العادل ، وهذا منتهى الإيجاز.

(إنَّ كِتابَ الفُجّارِ لَفي سِجِّين)

---

[1] الدر المصون ٧١٩/١٠

[2] الزمخشري ١٣٣٨/٤

[3] ينظر تفسير القرآن العظيم : ابن كثير الدمشقي ٢٠٠٣/٤ مؤسسة الكتب الثقافية ط ١ لبنان

[4] القرطبي ٢٥٨/١٩

استئناف ابتدائي بمناسبة ذكر يوم القيامة ، وهي جملةٌ خبريةٌ مؤكّدة بـــ (إن) واللام المزحلقة ، لتناسب حال المنكرين ، وهو تعريض بالتهديد للمطففين بأن عملهم سيكتب في كتاب الفجار، والفجار صفة غلبت على المشركين الذين يتلبسون بالتطفيف رغم سماع النهي عنه ، والتعريف في (الفجار) لاستغراق الجنس ، فيعم جميع المشركين ، مطففين وغير مطففين[1]، والكتاب : أي الصحيفة ، أو أيّ شيء تُحصى فيه الأعمال، ويحتمل أنه كناية عن إحصاء أعمالهم وتوقيفهم عليها[2].

(سِجّين) على وزن فِعّيل ، مثل سِكّير وضِلّيل، كلمة تعبر بجرسها ووزنها ومعناها عن المبالغة في الضيق والحبس، وقد ذهب المفسرون في معناها إلى أقوال، منها:أنه بئر في جهنم[3]، سُمِّي بهذا الإسم لأنه أشد الحبس ، وهذا الاسم من مصطلحات القرآن ، لا يُعرف في كلام العرب ولكنّ مادته وصيغته موضوعتان في العربية وضعاً نوعيّاً ، وقد سَمِع العرب هذا الاسم ولم يطعنوا في عربيته ، والمعنى العام أنّ أعمال الفُجّار تُحفظُ في مكان اسمه أو وصفه سِجّين ، وذلك يؤذن بفظاعة ودناءة ما احتوى عليه من أعمالهم.

وقد تُحمل الظرفية على المجاز، فيكون كنايةً رمزيةً[4] عن كون الفجار في سجين، وقيل : سُمّيَ سِجيلاً من السَجْل ، على اعتبار أن النون أصلها لام ، وهو الحبس والتضييق ، لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنّم ، فكأنّ هذه الكلمة تدل على سجل خاص يحصي أعمال من سيسجنون في مكان سحيق في جهنم ، فهي سجيل لأهل سجين .

(وَما أَدْراكَ ما سِجّين) جملة معترضة بين جملتين لغرض التهويل لأمر السجّين ، تهويل تفظيعٍ لحال الواقعين فيه ، وهو مُرَكّبٌ من ما الاستفهامية ، وفعل الدراية المُعدّى بالهمزة ، الذي يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، فالكاف مفعوله الأول ، وقد عُلِّق على المفعولين الآخرين بـ ما الاستفهامية ، فالاستفهام الأول كنايةٌ عن تعظيم أمر

---

[1] التحرير ١٩٥/٣٠

[2] ن م

[3] ابن كثير ٢٠٠٤/٤ ، ينظر المقاييس في اللغة ص ٥٠٦

[4] التحرير ١٩٥/٣٠

السجين وتهويله، والمقصود أنه لايصل إلى كُنْهِهِ دِرايةُ دارٍ، والاسفتهام الثاني حقيقي .[1]

(كِتابٌ مَرْقومٌ) تصلح هذه الجملة خبراً لمبتدأ محذوف تقديره : هو ... وهذا من حذف المسند إليه الذي درجت عليه البلاغة العالية عند العرب إذا تحدثوا عن شيء ثم أرادوا الإخبار عنه بخبر جديدٍ[2]، كما يحتمل أن تكون جواباً للجملة الاستفهامية قبلها ، فلاتكون معترضة ، وهو الأوجه ، والله أعلم .

(المرقوم) : المكتوب كتابة بيّنةً تُشْبه الرقْمَ في الثوب المنسوج ، وهذا الوصف يفيد تأكيد ما يفيده لفظ كتاب ، سواءً كان اللفظ حقيقةً أومجازاً[3]، وأورد الشوكاني نقلا عن الضحاك أن مرقوم بمعنى مختوم ، بلغة حِميَر، وأصل الرقم الكتابة ، قال الشاعر:

سأرقم بالماء القراح إليكم على بعدكم إنْ كانَ للماء راقمُ[4]

(وَيْلٌ للمُكَذّبين الذين يُكَذّبون بِيَوم الدين) هذه الآية بيان لمضمون الآية: (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) وتنوين يومئذٍ تعويضٌ عن جملةٍ محذوفةٍ تدل على هذه الجملة ، وبين المكذبين بيوم الدين والمطففين عموم وخصوص ، فبين المكذبين مطففون وبين المطففين مكذبون ، فتكون هذه الجملة إدماجا لتهديد المشركين المكذبين بيوم الدين وإن لم يكونوا من المطففيين ، وقد ذكر(المكذبين) مجملاً ثم أعيد مفصّلاً لزيادة تقرير تكذيبهم في أذهان السامعين ، فالصفة هنا تهديدٌ وتحذيرٌ للمطففين المسلمين من أن يستخفوا بالتطفيف فيكونوا بمنزلة المكذبين ، وفيه إلماح إلى أن التطفيف والإصرار عليه قد يؤدي بالمسلم إلى منزلة المكذبين[5].

ثم صرح بذلك عندما قَصَرَ سبب التكذيب بيوم الدين على المعتدي الأثيم، والقصر حقيقي ، وهو قصر صفة التكذيب على الموصوفين بالاعتداء والإثم، وما التطفيف إلا

---

[1] التحرير ١٨٣/٣٠– ١٩٥

[2] التحرير ٣٠ /١٩٦

[3] مفردات غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني مادة (رقم) ضبط هيثم طعيمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ

[4] فتح القدير ٤الجامع بي فني الرواية والدراية في علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني /٤٥٠ ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط٢ ١٩٩٨ م وينظر القرطبي ٢٥٨/١٩

[5] التحرير ١٩٦/٣٠

اعتداء على حقوق الآخرين ، وإثم مبين يحيك في النفس ، بدافع الجشع والطمع وقلة المروءة .

(ومايُكَذّبُ بِهِ إلّا كُلُّ مُعْتَدٍ أثيمٍ) وإن كانت الآية قد عَمّمَتْ ، فالخروج عن الإنصاف واتباع الهوى في ارتكاب الآثام تقود إلى فقدان الرؤية الصحيحة ، ومن ثَمّ إلى التكذيب بالحقائق والمُسَلَّمات ، وإذا ذُكّر بها وتُليت عليه الآيات قال : هذه أساطير وخرافات (وإذا تُتْلَى عليه آياتُنا قالَ أساطيرُ الأَوّلين) فهذه الآية صفة للمعتدي الأثيم أو حال منهما ، في نتاج الاعتداء والإثم ، في مُحاولةٍ لِصَدِّ الناس عن القرآن ، والتقليل من شأن إعجازه وتأثيره ، وهي مقالةُ مشركي العرب ، وهم المقصد ابتداءً، وأما غيرهم مِمَّنْ لم يؤمنوا فهي لسانُ حالهم أو لسان مَآلهم ، ولذلك نُزّلوا منزلة من يقوله[1].

والأساطير: القصص المُخْتَرَعَةُ التي لم تقع ، ولَعَلَّ الكلمةَ مُعَرَّبَةٌ عن اليونانية (istoria) [2]، "وكان المشركون يُنظِّرون قصص القرآن بقصة رُسْتُم وإسفنديار عند الفرس ، لِمَا سمعوا من القصص التي سيقت إليهم مساق الموعظة والاعتبار، فحسبوها من قصص الأسمار واقتصروا على ذلك دون ما في أكثر القرآن من الحقائق العالية والحكمة ، بُهتاناً منهم"[3] ،"وممن كانوا يقولون ذلك النضر بن الحارث ، وكان قد كتب قصة رستم واسفنديار، وجدها في الحيرة (بلد المناذرة) فكان يُحَدّثُ بها في مكة ويقول : أنا أحسن حديثاً من محمد (صلى الله عليه وسلم) فإنّما يُحدّثكم بأساطير الأولين"[4] .

ولا يخفى ما لهذه المفردة المُعرّبة من جمال في سياقها بحيث لا تصلح أي كلمة أخرى .

(كَلّا بَلْ رانَ على قُلوبِهم ما كانوا يَكْسِبون)

(كلا) : اعتراض بالنفي والردع ، أيْ : إنّ قولَهم باطلٌ ، وحرف:(بل) للإبطال تأكيداً لمضمون (كلا) وبيانا وكشفا لما حملهم على أن يقولوا في القرآن ما قالوا ،

---

[1] ينظر التحرير ١٩٨/٣٠

[2] مباحث في علم اللغة ومناهج البحث العلمي . د.نور الهدى لوشن ص ٢٢٥ المكتبة الجامعية الأزريطة ، الإسكندرية ٢٠٠٠م

[3] التحرير ١٩٨/٣٠

[4] القرطبي ٣٩٧/٧

وأنهم ما أعمى بصائرهم إلّا الرّين، والرّين: أصله الغطاء والستر[1]، ثم استُخدم في الغشاء على القلب بما يحجب البصيرة والرؤية السديدة ، ففيه استعارة المحسوس للمعقول لزيادة الإيضاح وتقريب الفهم ، وعن الحسن رضي الله عنه : هو الذنب على الذنب ، حتى يَسْوَدَّ القلبُ[2]، والمعنى : غَطَّت على قلوبهم أعمالُهم أن يدخلها فهم القرآن فيميزوا بينه وبين الأساطير، والبون شاسع[3].

والران كالصدأ وماشابهه ، فهو يحتاج إلى زمن طويل ، وهذا سر اختيار هذه اللفظة في هذا الموضع ، روى الترمذي عن أبي هريرة : " إن العبد إذا أخطأ خطيئةً نُكتت في قلبه نُكتةٌ سوداء ، فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه ، فإنْ عاد زيدَ فيها حتى تعلو على قلبه ، وهو الران الذي ذكره الله في كتابه"[4]، وقرأ الجمهور بإدغام اللام في الراء بعد قلبها راءً لتقاربِ مَخْرَجَيْهِما ، وقرأ حفص بسكتة خفيفة على لام (بل) لِيُبَيّنَ أنها لامٌ ، تجنباً للإدغام ، وفي اللسان : إظهار اللام لغة لأهل الحجاز، وقال سيبويه : هما حَسَنان ، وقال الزجَّاج : الإدغام أرجح[5]، والمعنى بغير الإدغام أوضح ، وأدفع للبس.

ومجيء يكسبون بصيغة المضارع لإفادة تكرار الكسب وتعدده في الماضي ، وفي لفظة(يكسبون) في مقام الخسارة استعارة تهكمية .

والمسألة برمتها مسألةٌ معنويةٌ ، جسّدها القرآن بصورة محسوسة مادية ، تقريباً للأفهام ، وتنفيراً للطباع السليمة من بشاعتها وسوء مآلها.

(كَلّا إنَهَمْ عنْ ربِّهمْ يومئذٍ لَمَحْجوبون)
(ثُمَّ إنَّهم لَصَالُوا الجَحِيم)
(ثُمَّ يُقالُ هذا الذي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبون)

---

[1] معجم المقاييس في اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ص ٤٣٥ ، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤١٥ هـ

[2] مختار الصحاح ، محمد بت أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، دار الرسالة ، كويت ط ١٤٠٣ هـ

[3] التحرير ١٩٩/٣٠

[4] القرطبي ٢٩٥/١٩

[5] ينظر التحرير ١٩٩/٣٠

(كلا) : تأكيد للأولى ، زيادة في الردع ليصير توبيخاً ، وانتقالٌ إلى عذاب الآخرة ، عرضت الأولى عذاب الدنيا ، وهو الرَّانُ على القلب الذي يحجب الفهم والحكمة والهداية ، ويؤدي إلى الضلال والكفر وعذاب الآخرة ،

وأما جزاء الآخرة فهو : الإهانة والتعذيب بالنار والتقريع .

فأما الإهانة : فحَجْبُهُمْ عن ربهم حين يُكرم أهل الإيمان بقربهم من الله أو رؤيته ، وتقديم (عن ربهم) للتنبيه على أهمية الأمر، فمن حُجِب عن ربِّه حُجب عنه كلُّ خير، إضافةً إلى تحقيق رعاية الفاصلة .

وقد عطفت هذه الآية على النوع الثاني بـ (ثُمَّ) الدالة على التراخي الرُتَبي ، لأنَّه ارتقاءٌ في الوعيد من الإهانة بالحجب إلى الصَلْيِ بالجحيم وذلك أشد من خزي الإهانة عند الكفار، أما عند المؤمنين به سبحانه فإن الحجب عذاب لا يدانيه عذاب [1]، وعطفت الجملة الثالثة على الثانية بـ (ثم) للدلالة على تراخي مضمون الجملة على مضمون التي قبلها ، فالأولى عذاب الجحيم ، والثانية عذاب التقريع لإشعال نار الحسرة والندامة في قلوبهم ، وهو من العذاب المعنوي الذي لايقل عن العذاب الحسي، بل قد يزيد.

فكان نظم الآية : عذاباً حسياً في جهنم اكتنفه عذابان معنويان ، مهانة قبلَه ، وتقريعٌ وحسرةٌ وندامةٌ بعدَه، تتمثل بقوله تعالى : (هذا الذي كنتم به تكذبون) واسم الإشارة (هذا)يعين على تصور المشهد المستقبلي وكأنه حاضر أمام أعين القراء.

وبُني فعل (يُقال) للمجهول لعدم تعلق الغرض بمعرفة القائل ، وجيء باسم الموصول ليذكروا تكذيبهم في الدنيا تنديماً لهم وتحزيناً ، وتقديم (به) على (تكذبون) للاهتمام ولرعاية الفاصلة ، والباء لتعدية فعل تكذبون للتفرقة بين تعديته إلى شخص فيتعدى بنفسه ، وبين تعديته إلى الخبر فيعدى بالباء ، ويضيف الإمام ابن عاشور احتمال أن تكون سببيَّة والمفعول محذوف ، أي : كُذِّب بسببه من أخبره به ، والتقدير: هذا الذي كنتم به تكذبون رسل الله في الدنيا[2]، وهو احتمال مرجوح .

(كلّا): ردع وإبطال ، وتأكيد لـ (كلّا) التي سبقتها ، وفاصل يفصل بين طرفَيْ المقابلة ، حيث يعرض القرآن كعادته الصورة المقابلة لصورة الفجار وكتابهم وأحوالهم ومآلهم ،

---

[1] روح المعاني : الآلوسي ٣٠/ ٧٣

[2] ينظر التحرير ٢٠٢/٣٠

(إنَّ كِتابَ الأَبرارِ لفي عليِّين وما أدراك ما علِيّون ، كتابٌ مرقومٌ يَشْهده المقَرّبون)

ليظهر الفرق جلياً واضحاً ، ويكون التصوير قوياً بارزاً ، فتقوى روادع الرهبة بالنفور ودواعي الرغبة بالشوق والقبول .

فكتاب الفُجّار في سِجّين يقابله كتاب الأبرار في عليين

وما أدراك ماسجين (تهويل للتخويف) يقابله وما أدراك ماعليون (تهويل للتشويق)

وكتاب مرقوم ... يقابله كتاب مرقوم يشهده المقربون

وصحة المقابلات تقتضي أن يتوخى المتكلم ترتيب الكلام على ماينبغي ، فإذا أتى بأشياء في صدر الكلام أتى بما يقابلها في عَجُزِه[1] ، ونحن نرى المقطع الثالث في المقابلة قد أخَلّ بهذا المعيار، فقد جاء الطرف المقابل في المقابلة زائداً على الأول بعبارة :(يشهده المقربون) ، أفلم يكن بالإمكان زيادة عبارة : يشهده المبعدون ؟ الحق أن ترك هذه العبارة هو الذي أعطى هذه المقابلة جمالها ودقتها لتطابقها مع واقع الحال ، فإن المرقوم – كما عرفنا – بمعنى المكتوب أو المختوم ، والمعنيان متكاملان ، فمن عادة الكتب المهمة أن تكتب ثم تختم ، فمناسبة ختم أو رقم كتب الصالحين ، والتي تكون شهادة بفوزهم وسعادتهم ، والتي ترفع إلى عليين ،يشهد ختمها المقربون من الملأ الأعلى ، وأما كتب المجرمين فهي ترقم أو تختم ،إما من غير حضور أحد لأنها لا تُشَرّف ، وإما بحضور المبعدين وهذا محال ، فهذا سر إغفالها في النظم القرآني ، فشتّان بين من يُرفع كتابه في عليين ، ويُرقم بحضور المقربين ، وبين من يُرمى كتابه في سجين ، ويُرقم بإهمال وصمت مهين .

و(عليين) جمع عِلّيّ على وزن فِعّيل ، وهو زنة مبالغة في الوصف جاء على صورة جمع المذكر السالم ، ولذلك أُلحق به ، وعن الفَرّاء أنه لاواحد له ، وهو علم على مكان كتاب الأبرار في الجنة [2]، والعلو اعتباري ، يراد به الشرف والرفعة ، وقد صيغ على جمع المذكر السالم ، وهذه الصيغة للعقلاء ، استكمالاً وإتماماً لشرف المعنى باستعارة العلو وشرف النوع بإعطائه صيغة العاقل .

---

[1] تحرير التحبير : ابن أبي الأصبع المصري ص ١٧٩

[2] معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤٧ عالم الكتب ، بيروت ط ٣، ١٤٠٣هـ، وذكر أبو جعفر النحاس الوجهين في إعراب القرآن ١٨٠/٥ ، تحقيق زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، لبنان ط ٣ ١٤٠٩ هـ وينظر التحرير ٢٠٣/٣٠

ثم انتقل إلى مقابلة أحوال المكذبين بأحوال أهل البرّ والإيمان فأطنب في تفصيل أوضاعهم إيناساً لهم وزيادة في التشويق والتحفيز ، ولعل السر في هذا الإطناب أن هذه السورة – كما رجح لدينا – موجهة إلى المسلمين ابتداءً لاقتلاع عادة ذميمة كانت متفشيةً فيهم قبل الإسلام ، فاقتضى أمر تخويفهم من هذه العادة التنبيه إلى أن استمرارهم عليها يؤدي بهم إلى غشاوةٍ على قلوبهم تحول بينهم وبين الهداية ، مما يدخلهم في زمرة الفجار والمكذبين ، الذين سيؤول أمرهم إلى غضب الله وعذابه ، ثم قابل ذلك بوصف حال الأبرار ، وهم منهم إذا أقلعوا عن هذه العادة ، وهو المَرجُوُّ فيهم ، فأطنب في وصف حالهم في الآخرة وماينتظرهم من النعيم والإكرام ، فقال :

(إنَّ الأبرارَ لفي نعيمٍ)

وذكر الأبرار بالاسم الظاهر دون المضمر تنويهاً وإشادةً بوصف الأبرار ، وهي مُبَيّنَةٌ ونتيجةٌ لجملة : (إنّ كتابَ الأبرارِ لفي عِلّيّين)

(على الأرائك ينظرون)

الأريكة كلمةٌ مختارةٌ بعناية رغم أنها مُعَرّبة ، وأصلها حبشي [1]، وهي اسم لمجموع سرير ووسادته وحجلة[2] منصوبة عليهما ، وينظرون : في موضع الحال من الأبرار، وحذف مفعول ينظرون إما لتقابل (إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فتكون بمعنى نظرهم إلى ربهم ، وإما لقصد التعميم ، أي : ينظرون إلى كل مايُبهجهم بقرينة النعيم .

(تَعْرِفُ في وُجوهِهِمْ نَضْرَةَ النعيمِ)

أيُّ ناظرٍ إليهم سيعرف أثر النعيم ، وهم يتمتعون بالنظر إلى ربهم ، أو بالنظر إلى مباهج هذا النعيم ، سيعرف ذلك من نضارة الحسن والسعادة الغامرة الطافحة في وجوههم ،

"وقد أضيفت النضرة إلى سببها"[3] .

ثم أعقبها بذكر نوع آخر من النعيم يستدعيه ذلك المجلس فقال : (يُسقَوْنَ مِنْ رَحيقٍ مختومٍ) وجاء الفعل مضارعاً ليدل على التجدّدِ ، ومبنياً للمجهول لعدم تعلق غرض

---

[1] قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل ، محمد الأمين بن فضل الله المحبي ١٦٤/١، تحقيق د عثمان محمود الصيني ، مكتبة التوبة ، الرياض ، ط١ ١٤١٥ هـ

[2] مثل حجلة العروس : مقاييس اللغة م (حجل)

[3] التحرير ٢٠٥/٣٠

الكلام بالفاعل ، وقال : (يُسقَون)دون يَشربون للدلالة على أنهم مخدومون لأجل ذلك في الجنة ، وذلك من تمام الترفّه ولذة الراحة ، والرحيق : اسم للخمر الصافية الرفيعة ، والمختوم : المسدود إناؤه ، وهي دلالة الاحتفاظ به مدة طويلة ليزداد تعتيقه ، وهذا ما يتفاخر به الناس عادة ، ولايُقدّم إلا لعلية القوم لغلاء ثمنه وجودة نوعه ، ودلالة على أنه لهم خاصّة لايشاركهم فيه أحد ، وهذا غاية الإكرام ، وإذا كان ختام الخمر المعتق في الدنيا بالطين أو ماشابه ذلك فإن ما يقدم للأبرار (خِتامُهُ مِسْكٌ) "والمسك مادةٌ ذات رائحةٍ نفّاذة طيّبة ،مشهور من القِدَمِ ، يُستخرج من غُدّةٍ مملوءةٍ دماً تخرج من عنق صنفٍ من الغزال في بلاد التبت من أرض الصين ، تبقى متصلة بعنقه إلى أن تيبس فيلتقطها طلابها ويتّجِرون بها ، وهي جِلْدَةٌ على شكل فأرٍ صغيرٍ ؛ ولذلك يقولون : فأرةُ المسك "[1] .

وفَسّرَ بعضهم ، ومنهم سعيد بن جُبَيْرٍ والنَخْعِيُّ ، ختامها : آخر طعمها[2] ، وهذا يزيد من قيمتها ، فإذا كان آخر مذاقها مسك ، فكيف يكون أوله ؟!

وجملة : (وفي ذلك فَلْيتنافَس المُتَنافسون) معترضة بين وصفين لخمرالجنة ، وهذا الاعتراض للتحريض والحث ، ولإثارة الحماس للسعي وراء تحصيل هذه المكرمة بالبرّ والإحسان ، وفيه تعريضٌ بالذين يتنافسون على حُطامِ الدنيا الزائل ، مما يجعلهم يظلمون ويفجُرون ، ومنشأ هذا التعريض هو القصر الناشئُ من تقديم الجار والمجرور ، حيث قُصر التنافس على نيل ثواب الآخرة ؛ ليصبحَ كلُّ ماعداه من التنافس في أمور الدنيا لا قيمة له ، أو مما تكون فيه الهَلَكَةُ[3] .

والتنافس الذي يدعو إليه القرآن يرتفع بأرواح المتنافسين جميعاً ، ويُصلِحُ الأرض ويَعْمُرُها ويُطَهِّرُها ، ولايؤدي إلى خرابها وفسادها واشتعال الحروب بين أهلها[4] .

والتنافس تفاعل وتنازع بأن يحب كل واحد أن ينفرد به دون صاحبه ، ويقال نفست الشيء عليه ، أي : ضننت به ، ولم أحب أن يصير إليه ، قال البغوي [5]: أصله

---

[1] ن م ٣٠/ ٢٠٦

[2] فتح القدير ٤/٤٥٣

[3] تفسير الآلوسي ٣٠/ ٧٥– ٧٦

[4] في ظلال القرآن : سيد قطب ص ٣٨٥٩ دار الشروق ط١ ١٩٨٢

[5] معالم التنزيل في التفسير والتأويل ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ٥ /٥٤٠ ، دار الفكر ط ١٤٠٥ هـ

من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ، فيريده كل واحد لنفسه وينفس به على غيره ، أي يضيق به .

(ومِزاجُهُ مِنْ تَسْنيمٍ عيناً يشربُ بها المُقَرّبونَ)

وهذا الرحيق المختوم يُفَضُّ خِتامُهُ ثُمَّ يُمزَجُ بشيءٍ من عينٍ مُرتَفعةٍ تُسَمّى : تَسْنيم ، وذلك إذا كانت تسنيم مأخوذةً من السنَمِ ،وهو الارتفاع [1]، وهذا العَلَم عربي المادة والصيغة ، ولكنه لم يكن معروفاً عند العرب ، فهو مما أخبر به القرآن ؛ ولذا قال ابن عباس لمّا سُئل عنه : " هذا مما قال الله تعالى : (فلا تعلم نفس ما أُخفِي لهم من قُرّة أعين)السجدة ١٧ "[2]

وانتصبت عيناً على المدح ، وقيل: هو حال من تسنيم[3] ، فيكون المعنى : ومزاجه من عين تسمى تسنيم ، ولايخفى مافي نظم هذه الآية من التشويق والإثارة بإيراد لفظة تسنيم على غرابتها ثم توضيحها ، فيكون توضيحاً بعد إبهام .

والباء في (يَشربُ بِها) باء الملابسة ، وضُمِّن (يشرب) معنى يمزج بتقدير مفعول محذوف وهو الرحيق ، فيكون المعنى : يشربون الرحيق ممزوجا بماء التسنيم ، أو بمعنى : يشربون الرحيق ملابسين للعين ، أي محيطين بها وجالسين حولها[4] .

وقيل :ضُمّن يشرب معنى يروي[5] ، وعلى هذا التضمين يمكن تفسير بيت أبي ذؤيب الهذلي :

شَرِبْنَ بماءِ البحرِ ثُمّ تَرَفَّعتْ متى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنّ نَئِيجُ

أي : روين بماء البحر، فلا تكون بمعنى (من) كما جاء في شرح ابن عقيل وغيره .

ويقول الرازي [6]: " وإذا كانت بمعنى (مِن) ويشرب منها المقربون صِرْفاً علمنا أن الذين يشربون منها ممزوجةً هم أصحاب اليمين ، ومنها علمنا أن تسنيم أفضل أنهار الجنة ، والمقربون أفضل أهل الجنة "

---

[1] فتح القدير : الشوكاني ٤٥٣/٤

[2] القرطبي ١٩/ ٢٦٦

[3] إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن :أبو البقاء عبد الله بن حسين بن عبد الله العكبري ٢٨٣/٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ١٩٧٩م

[4] التحرير ٣٠/ ٢٠٨

[5] الدر ٧٢٦/١٠ ، وينظر شرح ابن عقيل ٦/٢

[6] مفاتيح الغيب ١٠٠/٣١، للرازي ، دار إحياء التراث ط٣ بيروت

وانطلاقاً من مشهد نعيم الأبرار ، وماسبقه من مشهد عذاب الفُجّار وما يلاقونه من هوانٍ وعذابٍ وتقريعٍ ، وكل هذا في الآخرة ، يعود بنا المشهد بالذاكرة ، وكأننا في الآخرة حقيقة ، ليصور لنا ما كان يفعله المجرمون بالمؤمنين في الدنيا ، وهذا من أسرار النظم القرآني ، حيث أطنب في وصف نعيم المؤمنين ليقابل به ماكانوا يلاقونه من الكافرين في الدنيا من السخرية والامتهان ، ثم يرجع المشهد إلى يوم القيامة فيجري المقابلة بين ماكان عليه الحال في الدنيا الزائلة ، وبين ماآل عليه الحال في الآخرة الباقية .

المبحث الثالث : صورة تقابلية تبين الفرق بين حال الكفار مع المؤمنين في الدنيا ، وما آل إليه حالهم في الآخرة

(إنّ الذينَ أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون)

بأسلوب تصويري بارع طُويت مسافات الدنيا ، فإذا المخاطبون به في الآخرة يرون نعيم الأبرار ، وهو يُذكِّرهم ماكان من أمر الدنيا ،مفتتحاً بالتوكيد للاهتمام ، ومستخدماً لفظة أجرموا بدل كفروا ، لما كانوا يمارسونه من الإجرام ، حيث كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، وقد قدم (من الذين) للاختصاص ، فقد شغلهم الاستهزاء بهم عمن سواهم ، إلى جانب تحقيق رعاية الفاصلة .

وللقارئ أن يتخيل أسباب هذا الضحك ، فَلَعَلَّها لفقرهم ورثاثة حالهم ، ولعلها لضعفهم عن رد الأذى ، ولعلها لإعراضهم عن ملذات الدنيا التي يتمسك بها الفجار ، ولعلها سفاهة الكفار وبطرهم وظلمهم ، وهم يُسَلّطون الأذى على هؤلاء المؤمنين الصابرين [1]، وصوغ (يضحكون) بالمضارع يؤذن بالتكرار والاستمرار .

(وإذا مَرُّوا بهِمْ يَتَغامَزون)

وتؤذن هذه الآية أن الضحك على المؤمنين والاستهزاء بهم كان يجري في نواديهم ، فإذا مرُّوا بالمؤمنين غمز بعضهم بعضا بالعين أو باليد استهزاءً وتندراً، متذكرين ماكانوا يقولونه عن المؤمنين في نواديهم ، وقد يُفهم من الآية : وإذا مَرّ المؤمنون بالكافرين تغامز الكافرون عليهم ، وهي حركة وضيعةٌ تكشف عن سوء الأدب بقصد إيقاع الانكسار في قلوب المؤمنين وإصابتهم بالارتباك والشك في أنفسهم[2].

[1] ينظر في ظلال القرآن ٣٨٦١

[2] ينظر في ظلال القرآن ٣٨٦٠

(وإذا انْقَلَبوا إلى أَهْلِهِمُ انقلبوا فَكِهِينَ)

الانقلاب : الرجوع إلى المكان الذي جيء منه ، وهو مستعار من قلب الشيء ، أي جعل أعلاه أسفله ، ومنتهاه آخره ، وأهل الرجل زوجه وأولاده ، وهم الذين ينبسط إليهم بالحديث ، وتكرير فعل (انقلبوا) من "النسيج الجزل في الكلام ؛ لما في إعادة الفعل من زيادة تقرير معناه في ذهن السامع ، ولزيادة تقرير مافي الفعل من إفادة التجدد حتى يكون فيه استحضار الحالة "[1]، ولاتكون إعادة الفعل وجعله جوابا للأول إلا إذا اتصل بالتالي ماليس بالأول ، ومثله قوله تعالى : (هؤلاء الذين أَغْوَيْنا أغويناهم كما غَوَيْنا) [القصص ٦٣] وقول الشاعر:

فإذا تزول تزول عن مُتخمّطٍ تُخشى بَوادرُه على الأقران [2]

و(فكهين) أي :" متلذذين غاية التلذذ بما كان من مكنتهم ورفعتهم التي أوصلتهم إلى الاستسخار بغيرهم" [3] وهي مستعارة من الفاكهة .

وفي هذه الآية شاهد على غلَظ أكبادهم وموت ضمائرهم وفقدان الإنصاف عندهم ؛ فهم يزدادون فَرَحاً وبَطَراً وتَفَكُّهاً بعد نيلهم من المؤمنين ، راضين عن أنفسهم ، مبتهجين بما فعلوا ، فلم يَتَلَوّمُوا ولم يندموا ، ولم يشعروا بحقارة ماصنعوا ، وقذارة مافعلوا ، وهذا منتهى ماتصل إليه النفس من إسفاف وموت للضمير .

(وإذا رأَوْهم قالوا إنَّ هؤلاء لَضالّون)

إذا قابلوهم أو واجهوهم قالوا مؤكدين بـ (إن) و(اللام المزحلقة) ومشيرين بـ (هؤلاء) دلالة على الاستخفاف ، حاكمين عليهم بالضلال ،

"وهذه أعجب من التي قبلها ، وهو أن يتحدث هؤلاء المجرمون عن الهدى والضلال ..... ولاعجب ، فالفجور لايقف عند حد ، ولايستحيي من قول ، والقرآن لايقف ليجادل عن الذين آمنوا ولا ليناقش هذه الفرية ، ولكنه يسخر سخرية عالية من القوم الذين يتطفلون بلا دعوة من أحد في هذا الأمر (وما أُرسِلوا عليهم حافظين)

أي : والحال أنهم ما وُكِّلوا عليهم ، وما أُقيموا عليهم رقباءَ ، ولاكُلِّفوا تقدير أعمالهم"[4].

---

[1] التحرير ٢١١/٣٠

[2] ن م

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين البقاعي ٣١٩/٨ دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٩٨٥

[4] في ظلال القرآن ص ٣٨٦١

"وتقديم المجرور على متعلقه للاهتمام بمفاد حرف الاستعلاء وبمجروره مع رعاية الفاصلة "[1]

وتطوى المسافات في الزمان والمكان لتعود الصورة إلى مشهد يوم القيامة (فاليَوْمَ الذين آمنوا من الكُفّار يَضْحَكون على الأرائِكِ يَنْظُرون)

أفادت فاء السببية في (اليوم) أن استهزاءهم بالمؤمنين كان سبباً في جزائهم بما هو من نوعه في الآخرة ، إذ جعل الله الذين آمنوا يضحكون من الكافرين جزاءً وفاقاً ، وتقديم (اليوم) على (يضحكون)لأنه مناط الاهتمام ، ويوم الجزاء النهائي ، والنتيجة فيه هي الحاسمة .

وتعريف (اليوم) مع كونه ظرفاً منصوباً يقتضي أن المراد به يوم حاضر في وقت نزول الآية ، وهذا من قبيل التصوير واستحضار المشهد ، وكأنه بحكم الحاصل بعلم الله ، أو كما قال ابن عطية :" ولما كانت الآيات المتقدمة قد نيطت بيوم القيامة وأن الويل يومئذ للمكذبين ساغ أن يقول :(فاليوم...) على حكاية مايقال يومئذ ومايكون"[2]

وتقديم المسند إليه (الذين آمنوا) على المسند الفعلي (يضحكون) لإفادة الحصر ، وهو قصر إضافي في مقابلة (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) وأنه لن يكون العكس بعد ذلك ، فهو قصر قلب ، وإظهار (من الكفار) في مقام الإضمار لما في الوصف بالظاهر من الذم وإظهار العلة [3].

فالسعيد من يضحك في الآخر ، وتستمر سعادته وسروره ، والمؤمنون يوم القيامة يضحكون من قِصَرِ نظر الكافرين ، وسوء عاقبتهم وهم محجوبون مُعَذّبون نادمون مُتَحَسّرِون ، وهم يرون المؤمنين (على الأرائك ينظرون) هانئين منعمين مطمئنين راضين بما قسمه الله لهم من نظر لايعلم مداه إلا هو، بما لا ترقى إليه أمانينا ولاخيالنا .

ثم يتوجه الخطاب بالسخرية العالية مرةً أخرى مستفهماً استفهاماً تقريرياً (هل ثُوِّب الكُفّارُ ماكانوا يفعلون ؟!)

---

[1] التحرير ٣٠/ ٢١٤

[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ، ٥/٤٥٤تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية لبنان ط١ ١٤١٣هـ .....

[3] التحرير ٣٠/ ٢١٥

أجل ثُوّب الكفار ، ولكن ماذا ثُوبوا؟! فهم في ذلك اليوم على مشهد من الخلائق في الجحيم ،تصحبهم الإهانة والندامة والحسرات ، فأيُّ ثواب هذا الذي لاقوه؟! فياللسخرية الكامنة المُرّة في كلمة الثواب في هذا المقام ، ومأأشبه هذا الثواب بالقِرى الذي أعده الشاعر عمروبن كلثوم لأضيافه – مع بُعد الفارق – :

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَضْيافِ مِنّا فَعَجَّلْنَا القِرَى أنْ تَشْتُمُونا

قَرَيْناكُمْ فَعَجَّلْنا قِرَاكُمْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ مِرْداةً طَحُونا

وهذا في تصنيف البلاغيين من الاستعارة العنادية التهكمية ، وهي من قبيل قوله تعالى :(فبشرهم بعذاب أليم)

وبعض اللغويين يرى (ثُوِّب) بمعنى جُوزي على أصل معنى الكلمة قبل أن يشيع معنى الجزاء الحسن فيها .

وأي ثقة عالية تبثها هذه الصورة بمجيء هذا اليوم المشحونة بالرد على الذين يشككون به ، وبتحذيرهم من فوات الأوان ، والمسارعة لإنقاذ أنفسهم ، وعدم وضعها في مثل هذا الموقف الرهيب .

وفي (ماكانوا يفعلون) موصول وصلته ، وهو مفعول ثان للفعل (ثوب) والمألوف أن يقال : بما كانوا يفعلون ، فليس الجزاء ماكانوا يفعلونه ، لكن القرآن عَبّرَ بهذه الطريقة للدلالة على معادلته شدة جرمهم ، وأنهم مستحقون لكل ماينالهم من العذاب ، وفي هذه الطريقة كما يقول الإمام ابن عاشور تشبيه بليغ ، فقد شبه ما كانوا يفعلون بالجزاء الذي ينالون ، ويجوز أن يكون على حذف مضاف تقديره : مثل ، أو على نزع الخافض ، وهو باء السببية .

"وفي هذه الجملة براعة المقطع ؛ لأنها جامع لما اشتملت عليه السورة ، أو حسن الختام"[1] .

[1] التحرير ٢١٦/٣٠

الخاتمة والتحليل الإجمالي:

عالجت هذه السورة موضوعاً خطيراً ، وإن كان يبدو لكثير من الناس أمراً هيناً ، وهو التطفيف في الميزان ، فهو يُذهب المروءة ، ويحبط الأعمال ، وينقص الإيمان حتى يقضي عليه إن لم يتب فاعله منه .

وسورة المطففين موجهة ابتداء للمجتمع المسلم لتنقيته من الأعمال الفاسدة التي لاتليق بالمسلم الذي يمثل رسالة الإسلام ويدعو الناس إليها بقوله وفعله ،

ولِمَا لِهذه الآفة من خطر على إيمان المسلم ، والتي قد تُفضي به إلى الكفر والتكذيب ، كان لابد من التشديد في تحريمها ، لذلك دَمجت هذه السورة بشكل متصاعد بين آفة التطفيف وبين التكذيب الذي كان سببه استمراء التطفيف الذي شكل ريناً على القلب ، حجب عنه نور الإيمان ، وأودى به إلى الجحيم .

وعلى عادة القرآن في الترغيب والترهيب يعرض الصورة المقابلة ، وهي للأبرار ، وبدليل المقابلة هم الذين لا يطففون في الميزان ، فلم يغش الران قلوبهم ، وظل نور الإيمان يعمرها ، فكتابهم في عليين مكان يليق بصلاحهم ، وهذا الكتاب يشهده المقربون ، ولذا استحق أصناف النعيم والتكريم .

ثم يعود المشهد إلى الدنيا ليصور لنا ما كان يفعله المجرمون بالمؤمنين من إهانة وازدراء وتهكم ... لتصبح ذكريات مع ما آل إليه الحال في الآخرة ، ويستخدم عبارة (فاليوم) لتأكيد المشهد وإظهار المفارقة ، وتأكيد المعنى في قلوب المتلقين .

وينهي المشهد بالاستفهام التقريري التهكمي (هل ثُوّب الكفار ما كانوا يفعلون).

حشدت السورةُ قَدْراً كبيراً من المؤثرات البلاغية ، والطاقة الإيحائية ، والقدرة التصويرية ، لإحداث أكبر قدر ممكن في المتلقي ، بما يتناسب مع أهمية الموضوع ليَسْلَمَ المجتمع المسلم من هذه الآفة ، ويتمكن من استكمال بنائه العقائدي والسلوكي ، فيمثل الإسلام خير تمثيل ، وليكون مجتمعاً متماسكاً قادراً على مواجهة المتربصين

فقد كان اختيار الألفاظ في غاية الدِقَّة والمناسبة للدلالات المرادة ، نحو : ران ، وناضرة ، ويتغامزون ، وأرائك ، وأساطير ، وقد تجاوزت بعض المفردات حد الاختيار إلى درجة الابتكار ، مثل : مُطفِّفين ، وسِجِّين ، وعِلِّيّين ، وتَسْنيم ،

واتسمت هذه الألفاظ بظلال إيحائية اكتسبتها من دقة نظمها في الجمل والسياق ، ليتحقق بذلك جدول التوزيع بعد أن تحقق جدول الاختيار[1] .

واحتوت السورة على جمل متنوعة إنشائية وخبرية ، اسمية وفعلية ، تنوعت دلالاتها ، وتعددت أغراضها بمعاونة السياق وقرائن الأحوال ، لتساعد في رسم المشاهد وتصويرها .

وقد وقفنا في السورة على أساليب التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والقصر ، والفصل والوصل ، والإيجاز ، والإطناب ، ودلالاتها وأسرارها البلاغية .

كما توقفنا عند العديد من المقابلات وما اكتنفها من عدول حقق التوافق الدقيق بين الألفاظ والمعاني فزاد في جمالها وبلاغتها ، وأظهر المفارقة في المعنى في بعضها مما أثار الاستغراب والعصف الذهني لدى المتلقي ، ما أدى إلى وضوح الرؤية وقوة التصوير .

ومن اللافت في هذه السورة أسلوب التصعيد والترَقِّي في المعاني ، وهو أسلوب سائد في كثير من سور القرآن ، حيث يبدأ المعنى بدرجة مُعَيّنةٍ ، ثم يتصاعد حتى يصل إلى ذروة القمة التي تنتهي إليها فكرة المعنى المراد عرضه ، في نَظْمٍ بديعٍ.

نلحظ أن السورة بدأت بالحديث عن المطففين ، ثم بدأت بتصعيد المعنى بوصفهم بمفارقة عجيبة تدعو إلى الاستهجان ، ثم التشكيك بإيمانهم بالبعث ، ثم وصفهم بالمجرمين ، ثم جعل كتابهم في سجين ، ثم تأكيد الويل عليهم يوم الدين ووصفهم بالمكذبين بيوم الدين ، وأنه لا يكذب به إلا كل معتد أثيم ، فَقَدَ القدرة على التأثُّرِ بالقرآن بما ران على قلبه من المعاصي ، فإذا تُليت عليه آياته قال أساطير الأولين ، ثم يصل المعنى إلى الذروة باستحقاقهم العذاب والحجب والتقريع

[1] – جدول الاختيار : تقع في صلبه الإجراءات المتعلقة بالوحدات اللغوية المفردة ، كاختيار اللفظ الملائم للمعنى المراد ، أما جدول التوزيع : فهو الذي تضبط على أساسه أسس انتظام الكلام طبق علاقة التجاور ليكون النص متميزاً بصيغة فنية مستخلصة من عملية التعليق ذاتها ، لا من خصائص الأجزاء فقط . ينظر التفكير البلاغي عند العرب ، د حمادي صمود ، ص ٢٥٢

وكذا في وصف نعيم الأبرار ، حيث أطنب في وصفه مترقياً في درجات النعيم حتى يصل الذروة في الشرب من تسنيم ، وهي عين للمقربين ، وهم أرقى الأصناف في الجنة ، وهم السابقون كما جاء في سورة الواقعة .

وكذا في صورة معاناة الذين آمنوا من الذين أجرموا في الدنيا ، حيث تبدأ بالضحك عليهم ، ثم ترقى إلى الغمز واللمز، ثم تصعد إلى الاستمتاع بهذا الفعل الخبيث ، ثم الحكم عليهم بأنهم ضالون ، وهي قمة الانحراف وقلب المفاهيم ، ليصبح المجرمون هم من يحاكم المؤمنين الصالحين ويحكمون عليهم بالضلال .

ومن حسن النظم في السورة التوازن في عرض المعاني في المقابلات ، فإذا أطنبت السورة في طرف أوجزت في الطرف المقابل معولة على دلالة المقابلة ، فحين أطنبت في وصف المطففين وتصعد أحوالهم في الضلال ، أوجزت في وصف الأبرار اعتمادا على دلالة المقابلة ، وحين أوجزت في وصف عذاب المطففين ، أطنبت في وصف نعيم الأبرار ، وهذا ما يقارب فن الاحتباك أو يوافقه.

وكل هذه الصور المتصاعدة في المعنى تلتقي في ذروة المشهد الأخير (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون) الحقيقة النهائية الراسخة التي أبى الكفار أن يصدقوها وحاربوا الذين صدقوها ، وصبر المؤمنون على أذاهم واثقين بوعد الله ، وها قد وقعت ، وفصل الله بينهم ، ليسمع النداء الأخير الذي يملأ قلوب المؤمنين بالبشر والسرور ، ويخلع قلوب الكافرين بالحسرة والويل والثبور (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون)

وتميزت السورة بالوحدة الموضوعية وحسن السبك والتماسك بين آياتها وجملها ، فكل آية تسلمك إلى التي تليها بسلاسة و يسر عجيبين في اللفظ والمعنى ، جلّه ظاهر جليّ ، وبعضه دقيق خفيّ ، لا تلبث العقول بالتأمل أن تقع عليه وتبتهج به ، على نحو الانتقال من الحديث عن المطففين إلى قوله : (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين) فقد يتساءل القارئ : وهل التطفيف يخرج الإنسان من المِلّة ؟! وقد عرفنا أن الإصرار على التطفيف يودي بالإنسان إلى التكذيب .

كما تناسبت السورة كلها مع النسق القرآني ، في المعنى العام والتوجيهات القرآنية ، وفي الموقع ، فارتبطت بما قبلها حيث فَصَّلت ما أجملته سورة الانفطار في

موضوع الأبرار والفجار ، وهي متصلة بما بعدها ، فكل ما تحدثت عنه من أحوال الفريقين سيقع بعد أن تقع الساعة التي جاءت في سورة الانشقاق (إذا السماء انشقت..)

وأما الجانب الإيقاعي في السورة ، فقد تحققت فيها الانسيابية والسلاسة في تدفق حروفها وتناسقها ، فلا نرى في حروفها تنافراً ولا في جملها تعقيداً، فكانت الموسيقى الداخلية في منتهى العذوبة والتآلف ، كما هو حال جميع القرآن الكريم ،

وامتازت بالجمل القصيرة التي تنتهي بفاصلة النون المسبوقة بحرف مدٍّ ، مما يتطلب عند الوقف عليها مداً ، يُسمّى العارض للسكون ، وهذا يتناسب مع الجمل التقريرية ، التي شملت معظم السورة ، فقد جاءت بعض الآيات إنشائية ، ولكنها خرجت إلى غرض الإخبار والتقرير، بدلالة السياق ، كما في قوله تعالى : (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ...) وقوله تعالى : (وما أدراك ما سجين) فهي للتهويل ، والآية الأخيرة : (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) فهي للتقرير التهكمي .

وهذه الجمل تتناسب مع موضوع السورة بما تتضمنه من قرارات حاسمة ، وتحذيرات فاصلة ، و مآلات فارقة .

فنحن أمام صورةٍ كبيرةٍ ، عالجت موضوعاً واحداً ، تَشَكَّلَتْ من صورٍ عديدةٍ ومشاهد متنوعة متقابلة ، حاضرة ومستقبلية ، تَعْبُرُ الزمان والمكان ، حِسّية وعقلية ، وصفية وبيانية ، استعارية وتشبيهية وكنائية ، تهيأت لها كل عناصر التصوير من حركة ، وتَصَعُّدٍ ، ومُفارقةٍ ، وتطورٍ ، ولونٍ ، ورائحةٍ ، ونورٍ ، وظُلمةٍ ، وتفاعلات نفسية ، من حسرة وألم ، وتهكم وسخرية ، وعقل وحِجاج ، وتعريض ، وتلميح ، وتهديد ، وتحذير ، ساهم في تشكيلها ألفاظ مختارة ذات دلالات إيحائية ، وأدوات بلاغية وُظِّفت توظيفاً دقيقاً للربط بين ألفاظها ، وأساليب متنوعة حمّلها السياق معانيها ومراميها المتعددة ، وصور بيانية عمقت في فهمها وجمالها وتأثيرها .

وبذلك تتجلى دقة النظم وروعة التصوير وقوة التأثير في هذه السورة من القرآن .

وفيما يلي ثبت بأهمّ المصطحات البلاغية التي وردت في هذه الدراسة حول هذه السورة .

١ – براعة الاستهلال .

٢ – اختيار الجملة الاسمية لتناسب المعنى المراد .

٣ – الإيضاح بعد الإبهام .
٤ –المقابلة .
٥ – حذف المفعول لعدم تعلق غرض الكلام بذكره ، ولإفادة العموم .
٦ – تضمين اكتالوا معنى التحامل بتعديتها بـــ (على) .
٧ – التقديم لإفادة التخصيص (على الناس يستوفون) .
٧ – اختيار اللغة الأنسب للمقام ، من لغات العرب (كالوهم أو وزنوهم).
٩ – العدول عن صحة المقابلات لغرض بلاغي .
١٠ – إدماج (ذكر شيء والمقصود شيء آخر) .
١١ – مطابقة الكلام لواقع الحال .
١٢ – دقة النظم القرآني .
١٣ – حذف المفعول (تُخسِرون) للعلم به ، ولرعاية الفاصلة .
١٤ – استفهام تعجبي إنكاري (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون) .
١٥ –التحضيض .
١٦ – العدول عن الإضمارإلى اسم الإشارة لقصد التمييز والإشهار .
١٧ – جملة البدل للتعليل ، (يوم يقوم الناس لرب العالمين) .
١٨ – التعبير بالمضارع لاستحضار المشهد .
١٩ – مطابقة الألفاظ والتراكيب للمعنى .
٢٠ – الإيجاز (كلا) .
٢١ – حسن التخلص ، أو الانتقال بوجود مناسبة .
٢٢ –تأكيد الخبر بما يناسب حال السامعين .
٢٣ – إدماج التهديد .
٢٤ – التعريف لاستغراق الجنس (الفجار) .
٢٥ – كناية عن إحصاء الأعمال (كتاب).
٢٦ – من مصطلحات القرآن (سجين) ، لفظة ذات دلالة إيحائية .
٢٧ – كناية رمزية (سجين) .
٢٨ – استفهام تهويل للترهيب ، (وما أدراك ما سجين ؟) .
٢٩ –استفهام تهويل للترغيب ، (وما أدراك ما عليون ؟) .

٣٠ – حذف المسند إليه المبتدأ (كتاب مرقوم) .
٣١ – الفصل بين جملتين ، الثانية بيان للأولى .
٣٢ – قصر حقيقي (وما يكذب به إلا كل معتد أثيم) .
٣٣ –لسان الحال أو لسان المآل ، (قالوا أساطير الأولين) .
٣٤ –لفظة معربة (أساطير) مناسبة في سياقها .
٣٥ – استعارة (ران على قلوبهم) .
٣٦ – المضارع للدلالة على الاستمرار (يكسبون) .
٣٧ –استعارة تهكمية في لفظة يكسبون ، لمجيئها في مكان الخسارة .
٣٨ –تقسيم ، عذاب المكذبين في الآخرة : إهانة بالحجب ، وصلي بالنار، وتقريع .
٣٩ – تقديم (عن ربهم ...) للتنبيه على أهمية الأمر ، ولرعاية الفاصلة .
٤٠ – التراخي الرتبي بـــ (ثم) .
٤١ – اسم الإشارة (هذا) يعين على تصور المشهد المستقبلي .
٤٢ – حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض بمعرفة القائل (ثم يُقال : ...) .
٤٣ – تقديم (به) على (تكذبون) للاهتمام ورعاية الفاصلة .
٤٤ – الباء للتفرقة بين تعديته إلى شخص ، وبين تعديته إلى الخبر .
٤٥ – (كلا) ردع و إبطال ، وفاصل بين طرفين .
٤٦ – العدول في صحة المقابلة لغرض بلاغي .
٤٧ – استعارة المكان الحسي للمقام ، وإسباغ صفة العاقل عليه ، (عليين) .
٤٨ –الإطناب .
٤٩ – العدول عن الإضمار إلى الإظهار للتنويه و الإشادة .
٥٠ –جمال الكلمة في موقعها ، رغم أنها مُعَرَّبَةٌ ، (أرائك) .
٥١ – حذف للتعميم ولرعاية الفاصلة .
٥٢ – إضافة النضارة إلى سببها .
٥٣ – الفاصلة (السجع) .
٥٤ – المضارع للتجدد (يُسقون) وبني للمجهول لعدم تعلق الغرض بالفاعل .
٥٥ –(يسقون) ولم يقل : (يشربون) للدلالة على أنهم مخدومون .
٥٦ –(المختوم) للخصوصية ، والنوعية .

٥٧ –(المسك) لغلاء ثمنه ، وطيب رائحته .
٥٨ – تعدد التأويلات يبقى في نطاق المعنى والبلاغة .
٥٩ – دلالة القصر التعريضية ، والتصويرية ، (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) .
٦٠ – من مبتكرات القرآن في الألفاظ (تسنيم) .
٦١ – التوضيح بعد الإبهام .
٦٢ – التضمين في الحرف ، (يشرب بها) .
٦٣ – تنوع المشاهد في الزمان والمكان والنوع ، مما يعين في قوة التصوير .
٦٤ – اختيار اللفظة المعبرة والمصورة (يتغامزون) .
٦٥ –استعارة في الكلمة (انقلبوا إلى أهلهم) ، و(فكهين) .
٦٦ – تكرير الكلمة لزيادة التقرير .
٦٧ – تأكيد الجملة الخبرية (إن هؤلاء لضالون) غرور الباطل .
٦٨ – اسم الإشارة للاستخفاف ، تصوير .
٦٩ – التهكم من الكافرين بتجاهل كلامهم .
٧٠ – تقديم المجرور على متعلقه للاهتمام ورعاية الفاصلة ،(وما أرسلوا عليهم حافظين)
٧١ – استخدام الظرف الحاضر لمشهد مستقبلي ، لاستحضار المشهد وكأنه حاضر .
٧٢– تقديم المسند إليه لإفادة الحصر (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ، في مقابلة المشهد السابق ، إيذانا بأن العكس لن يحصل أبداً .
٧٣ – إظهار (الكفار) في مقام الإضمار، لما فيه من الذم وإظهار العلة .
٧٤ – استفهام تقريري تهكمي (هل ثوب الكفار ....) .
٧٥ –تشبيه بليغ (ما كانوا يفعلون) .
٧٦ – حسن الختام ، أو مراعاة المقطع .
٧٧ – ظاهرة التصعيد والترقي .
٧٨ –المفارقة .

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

١- إعراب القرآن ، أبو جعفر النحاس ، تحقيق ، زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، لبنان ، ط ٣، ١٤٠٩ هـ .

٢- إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن حسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ ،١٩٧٩

٣- التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ، وهو المشهور بـ مختصر صحيح البخاري ، تأليف الإمام زين الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي (ت ٨٩٣هـ) وبحاشيته زوائد الزبيدي ، دار ابن القيم ودار ابن عفان ، ط١ ، ١٤٢١ ، ٢٠٠٠ .

٤- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، تقديم وتحقيق د. حفني محمد شرف ، القاهرة ، ١٤١٦ ،١٩٩٥،وزارة الأوقاف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي .

٥- التحرير والتنوير ، الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .

٦- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير الدمشقي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط ١ ، لبنان .

٧ – التفكير البلاغي عند العرب ، د حمادي صمود ، منشورات الجامعة التونسية ، طُبع بالمطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ،١٩٨١ .

٨-الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٧٨ ، بيروت .

٩- الخصائص ، أبو الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ٤ بغداد ١٩٩٠.

١٠- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أحمد بن يوسف ، المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) ، تحقيق د. أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٦ ، ١٩٨٦ .

١١- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق د. محمد رضوان الداية ، ود. فائز الداية ، مكتبة سعد الدين ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٧ ،١٩٨٧ .

١٢-روح المعاني ، محمود شكري الآلوسي البغدادي ، إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ .

١٣- سنن ابن ماجة بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي ، (ت ١١٣٨هـ) تحقيق الشيخ مأمون شيحا ،دار المعرفة ، بيروت لبنان ط٢ ، ١٤١٨ ، ١٩٩٧ .

١٤– شرح ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمذاني على ألفية الإمام أبي عبد الله جمال الدين بن مالك ، ومعه منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار اللغات .
١٥– فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٨ .
١٦– في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ط١ ، ١٩٨٢ .
١٧– قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، للعلامة محمد الأمين بن فضل الله المُحبّي (ت ١١١١هـ)، تحقيق وشرح د. عثمان محمود الصيني، مكتبة التوبة، الرياض،ط١، ١٤١٥، ١٩٩٤.
١٨– كتاب مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق ياسين محمد السواس ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٤ م .
١٩–الكشاف ، للزمخشري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
٢٠–مباحث في علم اللغة ، د. نور الهدى لوشن ، المكتبة الجامعية الأزريطية ، الإسكندرية ، ط٢٠٠٠ م
٢١ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق عطية الأندلسي ، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، والسيد عبد العال السيد إبراهيم ، ط ١ ، الدوحة ، ١٤٠٥ ، ١٩٨٥ .
٢٢ – مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي،دار الرسالة،الكويت،ط ١٤٠٣ .
٢٣ – معالم التنزيل في التفسير والتأويل،أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي(ت ٥١٠ هـ) ، دار الفكر ط ١٤٠٥ ، ١٩٨٥ .
٢٤ – معاني القرآن ، للفراء ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٩ هـ .
٢٥ – المعتمد المنقول فيما أوحي إلى الرسول (ص) ، بهاء الدين حيدر بن علي بن حيدر القاشي ، حققه وخرج أحاديثه د. فيصل بن جعفر بن عبد الله بالي ود. محمد وليد سيدي ولد حبيب ، مكتبة التوبة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٠ ، ٢٠٠٠ .
٢٦ – معجم المقاييس في اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٤٩٥هـ) ، حققه شهاب الدين أبو عمر ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤١٥ ،١٩٩٤ .
٢٧ – مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث ، ط٣ ، بيروت .
٢٨ – مفردات غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني (ت ٥٠٢هـ)، ضبط ، هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٣، ٢٠٠٢.
٢٩ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين البقاعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ م .